العربية لغة حضارة مرت بتجربة ضخمة أبرزت صلاحيتها ... ولكننا ما زلنا في حاجة إلى لغة أجنبية

للأستاذ عبد العزيز حسين
- الكويت -

1 و 2 — من اهم المشكلات التي يعانيها متعلم العربية مشكلة الكتابة ومشكلة الاعراب . فلقد بدأت العربية رموزا غير منقوطة وغير مشكلة ، تقرأ بالمقارنة والاستنتاج في كثير من حروفها المتشابهة حسب مواقعها من الكلمة او الجملة ، ثم تطورت بالنقط التي اصبحت اجزاء من الحروف لا غنى عنها . على ما في النقط من تعويق لسرعة الكتابة . وبقي الشكل الذي يحتاج الى معاناة غير يسيرة لازما لضبط الكلمات ولتجنيب المتعلم الوقوع في الاخطاء اللغوية .

ورغم ان من مميزات لغتنا اقتصارها على حروف علة ثلاثة ، فانها لا تستعمل الا في المد الطويل ، وفيما عدا ذلك فان الكلمات العربية مقصورة على الحروف الصامتة التي تجعل القراءة عملية غير ميسرة ، وتجعل لكل كلمة احتمالات نطق متعددة ، لذا فان استعمال الشكل كثيرا ما يكون ضرورة للمتعلم حتى يستطيع النطق بالكلمات حسب المقصود منها ، ولكن استعمال الشكل في الكتابة في الوقت ذاته اجراء يقتضي تمهلا شديدا في الكتابة لا يتفق مع مستلزمات السرعة المطلوبة فيها .

وقد استبقت اللغة العربية اعراب اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل مما يقتضي تفهما دقيقا لقواعد اللغة ودراسة للنحو والصرف ليست باليسيرة .

وحيث ان المعاني تتغير حسب الاعراب فان الشكل المضبوط ضرورة للنطق الصحيح والفهم الصحيح لمتعلم العربية الجديد .

واعراب اواخر الكلمات قد استغنت عنه او عن جله كل اللغات فيما نعلم ، واللغة العربية ذاتها استغنت عنه في حالة الوقف ، كما ان جميع اللهجات العامية العربية لم تعد تنتهجه ، مما يدل على انه قد آن الاوان لدراسة امكانية اعادة النظر لمحاولة تخفيف هذا العبء الكبير على متعلم العربية .

ان امام المهتمين بنشر اللغة العربية ان يجدوا حلولا تسهل لمتعلمها أن يكتب كتابة صحيحة وينطق نطقا صحيحا دون تلك المعاناة الشاقة التي نجدها اليوم في استعمال الشكل في الكتابة وفي الدراسة المضنية للنحو والصرف ، وهما علمان يقتضي اتقانهما بذل جهد كبير يمكن انفاقه فيماهو أجدى على المتعلم.

هذا الى ان المتعلم العربي يقاسي نوعا من ازدواجية اللغة طرا بالاختلاف بين العامية والفصحى، ورغم علمنا ان هذا الاختلاف ستخف وطاته بانتشار التعليم حيث ثبت ان العربي المتعلم ينطق لغة اقرب الى الفصحى من الامي ، فاننا لاحظنا أن هناك اختصارا وحذفا اجمع عليهما المتعلمون والمثقفون في تخاطبهم بالعامية المتميزة عن عامية غير المتعلمين ، وهذا يسهل علينا دراسة عملية التطور الطبيعية للغة اذ نعرف من اتجاه المثقفين العرب في النطق ما هو خليق بأن يدرس أمر حذفه او تخفيفه من قواعد اللغة التي تعوق عملية التعليم ، وتكون هذه الدراسة سبيلا الى مزيد من تقريب هذه العامية المتميزة الى العربية الفصحى .

وسواء كانت الحلول التي ندرسها لتسهيل تعليم العربية هي في ادماج الشكل في صلب الكلمة بصورة ما ، او في ايجاد قواعد أخرى لتيسير الكتابة والقراءة او تبسيط النحو والصرف ، أو في دراسة التطور الطبيعي للغة وما يستدعيه هذا التطور من

اختصار وتبسيط او غير ذلك من الامور ، فانمن الزم اللازم الا يقودنا هذا التغيير الى التفكير فى استعمال الحروف اللاتينية كما فعل اتاتورك فى تركيا ، او ادخال تغيير يقضي على صلتنا بتراثنا العظيم ويفصلنا عن ثروتنا العلمية الضخمة .

ان الحلول التي نرجوها نأمل أن تقترن فى اذهان المفكرين فيها بضرورة استمرار الصلة بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا بحيث لا يكون فى تطور الكتابة قطع لصلتنا بذلك الماضي وبحيث يستطيع المتعلم العربي أن يعود لذلك التراث لينهل منه متى اراد .

3 و 4 و 5 — لقد بدأ معظم التعليم الجامعي فى الوطن العربي فى ظل حاكم دخيل ، كما ان هذا التعليم بمفهومه الجديد دخل البلاد العربية وهي فى غير مكانها المناسب من التقدم العلمي واستعملت اللغات الاجنبية وسيلة للتعليم لانها لغات الحكام ، ولانها لغات الحضارة الجديدة القادمة من الغرب .

ولسنا بصدد الحديث عن قرون الظلام التي عاشتها الامة العربية تحت مختلف السيطرات الاجنبية ولا عن التخلف الذي قاسيناه واسبابه ، بعد عصور شهدت للعرب علما وفنا وادبا تعتبر من الاسس الاولى لقيام حضارة الغرب التي نحاول اللحاق بها بكل طاقاتنا الحالية ، ولكننا نحب ان نشير الى ان مبدأ التشكيك فى صلاحية اللغة العربية لتدريس الجامعي من المخلفات التي تركها لنا التخلف والسيطرة الاجنبية ، حتى اصبح هذا الشك شبه يقين عند بعض المثقفين العرب .

لقد اقنع الغرب الكثيرين منا فى يوم من الايام ان البلاد العربية لا تصلح للصناعة ولكنها تصلح لانتاج المواد الاولية التي يصنعها الغرب ثم يعيد تصديرها الينا .

اللغة العربية فى نظرنا لغة صالحة كل الصلاحية للتدريس الجامعي ، لانها لغة حضارة ، مرت بتجربة ضخمة عندما تصدت للتعبير عن كل خلجات الانسان بأعمق ما تتصدى له لغة من اللغات ولانها استوعبت علوم العرب فى أوج نهضتهم ، ولانها هضمت الانتاج الفكري لحضارات اخرى وعبرت عنها فلم تعجز عن التعبير .

وعندما اشتغل علماء العرب بالطب والفلك والرياضة والجبر والهندسة ، وعندما كتبوا فى المنطق والفلسفة وعندما بحثوا فى الموسيقى والفنون الاخرى المختلفة ، لم تقف العربية عاجزة دون ان يفوقوا فى ذلك ، ودون أن يدونوا اسفارا كان الغرب فى بدء يقظته سريعا الى الافادة مما فيها من كنوز ومن معرفة ، وما زال الكثير الباقي منها شاهدا على قدرة اللغة العربية على غزو كل جديد والتكيف للظروف الحضارية المتطورة .

ان اولئك البحاث والعلماء العرب لم يقفوا من العربية باعتبارها كيانا جامدا ينبذ كل جديد . لقد علموا أن الاشتقاق فى العربية ميزة كبرى تعطيها مرونة تتسع معها لمزيد من المقدرة على التعبير عن كثير مما لم تنص عليه القواميس فى لغة العرب ، وأن التعريب قد استعمله العرب الاوائل كما استعمله القرآن الكريم . وأن اللغة العربية ليست من ضيق الصدر بحيث تأبى أن تزيد غنى وثروة بما تهضمه من مفردات لا تغير من اصالتها ولا تحيلها الى لغة اخرى لا تمت الى لغة الاجداد الا بصلة واهية.

اننا فى دراسة استعمال اللغة العربية اداة للتدريس فى جامعاتنا نضيع بين التزمت المفرط الذي يأبى ادراك الضرورة القاهرة التي نواجهها لتقبل كثير مما تجمع امام جامعاتنا من المصطلحات العلمية الحديثة والذي يأبى الا ارجاع كل مصطلح مهما بلغ شيوعه الى اصل قديم نصا وروحا ، وبين التساهل المفرط الذي يجعل من لغتنا لغة شوهاء بما يقحمه فيها من مصطلحات وتعبيرات ، غير مدرك امكانيات لغتنا الواسعة وما يمكن ان تسهم به فى هذا المجال.

وعدم اتفاقنا على استعمال اللغة العربية فى جامعاتنا من جهة ، ثم اختلافنا من جهة اخرى على الاسلوب الذي يجب اتباعه فى الترجمة والتعريب والتوليد ، انتج مجهودات مبعثرة غير منسقة للمصطلحات العلمية التي تستعمل فى الجامعات العربية ، واستحدث اكثر من اسم واحد للمصطلح الواحد مما سيضاعف متاعبنا مستقبلا ، اذ اننا سوف نعمل على توحيد المصطلحات العربية الى جانب تعريب المصطلحات الاجنبية .

وهنا تجدر الاشارة الى واجبات المجامع العلمية العربية فى هذا الميدان الهام ، والى الآمال المعلقة على المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي .

ان اتفاق جامعاتنا على استعمال مصطلح

واحد سواء كان عربيا او معربا او مولدا او مترجما يخطو بنا خطوة هامة نحو توحيد ادراك المعارف فى المجالات العلمية فى الوطن العربي .

هذا وان دعوتنا لاستعمال اللغة العربية اداة للتدريس فى الجامعات يجب ان تكون **مقرونة باهتمامنا بتحديد مدلولات المصطلحات العلمية وتوضيح مفهومها العلمي** ؛ والاتفاق على اسلوب موحد للعمل العربي بالنسبة لما طرا على العربية من هذه المصطلحات ثم بالنسبة لما سيجد عليها منها فى المستقبل ...

ودعوتنا هذه يجب ان لا تكون دعوة تعصب تغشى عيوننا عن كثير من الحقائق الواضحة ، فان من اول ما يجب ان ندركه اننا ما زلنا متخلفين فى ميادين العلم التطبيقي واننا يعوزنا الطويل من الوقت والكثير من الجهد حتى نلحق بالمتقدمين علينا ؛ وان جل المراجع العلمية قد كتبت بلغات اجنبية ، ومن ثم لابد للمعلم ولطالب العلم من ان يكون قادرا على الاطلاع على تلك المراجع ، وعلينا ان نعنى بأن **تكون لغة اجنبية واحدة على الاقل سبيلا لطلاب العلم العرب الى المراجع الفنية بالمادة العلمية** ، ولذا فانه يلزم ان يواكب اهتمامنا بجعل اللغة العربية اداة التدريس فى جامعاتنا ، **اهتمامنا باتقان لغة اجنبية** حية او اكثر ، واهتمامنا **بترجمة المراجع العلمية القيمة** الى لغتنا العربية .